القلاع والحصون في بلاد الشام
منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي

الدكتور أنور العوا[1]

الملخص

سبقت الحضارة العربية الإسلامية حضارات إنسانية قديمة أولت أهمية كبيرة لبناء القلاع والحصون والأسوار والخنادق لضرورات الأمن، ومن أشهر الحضارات التي كانت على تماس مع المسلمين الحضارة البيزنطية، إذ يلاحظ عند الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام عدم قيام العرب المسلمين بتدمير أي تحصينات دفاعية موجودة في هذه المنطقة، بل تركزت الجهود على الفتح صلحاً أو عنوة بطريقة المغافلة، وذلك لإدراكهم لأهمية هذه التحصينات فيما بعد الفتح، فكانت مدن بلاد الشام الداخلية معسكرات حربية تفي بمتطلبات الجيوش العربية الفاتحة (أجناد)، أما المدن الساحلية فتحولت لأربطة دفاعية للعرب المسلمين ضد أساطيل الإمبراطورية البيزنطية الهادفة لاستخدام هذه المدن لإعادة سيطرتها على بلاد الشام، أما المدن الشمالية لبلاد الشام فتحولت لثغور دفاعية هجومية ضد الإمبراطورية البيزنطية، وبذلك بدأت حروب القلاع والحصون والثغور والمحارس (الأربطة) منذ وقت مبكر من التاريخ العربي الإسلامي، فقد طور المسلمون هذه التحصينات من مجرد محارس ومرابض لإقامة الجند ومخازن للسلاح والمؤن؛ إلى مدن محصنة تضم منشآت متكاملة لعمليات الحرب والدفاع والتي بدأت من المسجد.

وعلى الرغم من كل هذه الإيجابيات التي حققتها الدولة العربية في بداية نشأتها من الاهتمام بالتحصينات الدفاعية واستخدام الموجود وتطويره أو بناء ما يلزم، إلا إنه كان لذلك سلبيات لم تظهر إلا من خلال بعض السطور من خلال تدمير الإمبراطور هرقل لقلاع وحصون معينة على حدود دولته، وقيام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بعمل مماثل على الحدود الشمالية ولذلك لأهداف قد تبدو خفية.

-**الكلمات المفتاحية:** القلاع-الحصون- بلاد الشام- الأموي-معاوية.

[1] دكتور في تاريخ العرب والإسلام، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الفرات، مدينة دير الزور، سورية.

-المقدمة:

جاء اهتمام المسلمين بالعمارة الحربية في إطار حثِّ الإسلام لهم على إعداد القوة ومدافعة المُغيرين، فيذكر سبحانه في كتابه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، لذلك عد الإسلام تشييد الاستحكامات الحربية من أسوار وقلاع وحصون وأبراج من الوسائل التي تساعد على حفظ دماء المسلمين وحرماتهم، فهي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

ومن هذا المنطلق جاء اهتمام حكام المسلمين بالعمارة الحربية في إطار حرصهم على تأمين حياتهم وحياة رعاياهم داخل المدن التي شيدوها أو التي فتحوها، وكان هذا الحرص واضحاً منذ بداية العصر الإسلامي، فقد حصَّن النبي (ﷺ) المدينة المنورة بحفر خندق حولها في غزوة الأحزاب[2]؛ لهذا أدخل العلماء تشييد القلاع والحصون في عِداد البناء الواجب، وحَكم الفقهاء بإلزام العامة المشاركة في بنائها إذا ما اقتضت الضرورة، ودعت هذه الأحَكام أيضاً إلى المحافظة عليها وعدم هدمها وإزالتها حتى لو اقتضت الضرورة ذلك؛ لأنه ربما احتيج إليها في وقتٍ لاحق، وفي سبيل ذلك عملوا على إيقاف أوقاف تساعد في تأمين مورداً مالياً ثابتًا لا يتأثر بمالية الدولة، وكانت تزداد أهمية هذه الأوقاف على العمارة الحربية في أوقات الحروب[3].

1- مصطلح القلعة والحصن في صدر الإسلام:

- القَلْعَةُ المكان الممتنع في جبل، وجمعها قِلاعٌ وقَلَعٌ وقِلَعٌ، والقَلَعَةُ بفتح اللام الحصن في الجبل وجمعه قِلاعٌ وقَلَعٌ وقِلَعٌ، وأَقْلَعُوا بهذه البلاد إِقْلاعاً بنوها فَجَعَلُوها كالقَلَعةِ، وقيل القَلْعَةُ بسكون اللام حِصْنٌ مُشْرِف وجمعه قُلُوعٌ[4].

- الحَصُنَ: المكان الحصين والجمع حُصونٌ، وحَصَّنْتُ القرية إذا بنيتَ حولَها، والعرب تسمي السِّلاحَ كلَّه حِصْناً[5].

وهذا يعني أن القلعة هي الحصن الممتنع على جبل، والحصن هو كل موضع حصين (ممتنع) لا يستطاع الوصول إلى جوفه، فالقلعة تعني الحصن من حيث المبدأ والقصد، وإن تميزت منه بخصائص ومواصفات بعينها، مع الاختلاف في تحديد أيهما أكبر وأشمل.

---

[1] القرآن الكريم: الأنفال: آية70.

[2] الواقدي(محمد بن عمر بن واقد): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت1989م، ج2، ص440-496. زكار، خربوطلي(سهيل، شكران): تاريخ الدولة العربية الإسلامية-عصر الرسول والخلفاء الراشدين-، جامعة دمشق، دمشق2003م، ص108-112.

[3] البهوتي(منصور بن يونس): كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت1402هـ، ج4، ص240-251.

[4] ابن منظور(محمد بن مكرم الإفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج8، ص290.

[5] ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص119.

الجوهري(إسماعيل بن حماد): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت1987، ط4، ج5، ص2101.

– والحصن نوعان، الأول: هو بناء منفصل قائم بذاته، ويبنى على السواحل أو طرق القوافل أو في المراكز الحربية أو على ثغور الدولة، أما الثاني فهو بناء له سور أو مدينة أو قصر ويمتلك بوابات.

– وبعيداً عن بلاد الشام وفي نفس الحقبة التاريخية يلاحظ المدن التي بناها المسلمون لم تكن لها أي وسيلة دفاعية؛ وذلك لأنهم عدوها مدن أمنة وبعيدة عن أي خطر، إضافة لمعرفتهم بقوتهم.

– وقد عرف العرب قبل عهد الإسلام القلاع والحصون في الجزيرة العربية التي سكنها اليهود في يثرب(المدينة المنورة) وحصون خيبر[1]، كما عرفوها من خلال رحلاتهم التجارية لبلاد الشام، حيث كان أهلها يسكنون القلاع والحصون والمدن المسورة كحصن حيفا، وقلعة حلب، وأسوار مدينة دمشق[2]، حيث عملت بيزنطة على بناء حصوناً صغيرة على الجبهات المهمة التي تحتاج إلى حماية، مثل: الحصون الموجودة في شمال بلاد الشام، والتي تحولت إلى مدن قلاعية يحيط بها أسوارٌ منيعة محصَّنة[3].

فالقلعة أو الحصن بناء منيع يشيَّد في موقع يصعب الوصول إليه، وغالباً ما يكون على قمة جبل، أو مشرفاً على بحر، وكانا يؤديا دور البيت والحصن والسجن ومستودع الأسلحة وبيت المال ومركز السلطة الحاكمة المحلية في المناطق الثغرية، وكثيراً ما كانت تنشأ القرى حول القلاع والحصون، من ثم تتحول إلى مدن في وقت لاحق ذات أهمية كبيرة[4]، وفي حقبة الفتوح العربية الإسلامية تحولت سلسلة القلاع الموجودة سابقاً في بلاد الشام، والتي استحدثت أو رممت فيما بعد إلى جزءاً من شبكة دفاعية للدولة العربية الإسلامية–الدولة الأموية–.

2– العمران الحربي في بلاد الشام:

– قال سبحانه وتعالى في إشارة لا يمكن التغاضي عنها ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾[5].

– بدأ الاهتمام بالثغور الإسلامية منذ أن اكتمل فتح بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب، حيث وجب على المسلمين حمايتها من الدولة البيزنطية، فبدأت فكرة إقامة معسكرات في المناطق الثغرية المواجهة للعدو فكانت الصوائف والشواتي، وهي عبارة عن جيوش ترابط لجهاد الروم البيزنطيين لحقبة زمنية معينة ثم تعود لتخلفها أخرى[6].

ونظراً لاهتمام الخلفاء المسلمين بالجهاد والرباط في سبيل الله، فقد تطلب الأمر وجود جيوش دائمة ومستقرة ترابط لحماية الدولة الإسلامية، لذا بدأت فكرة بناء الحصون التي تطورت إلى مدن قلاعية، وهذا ساعد على إرسال أسر

---

[1] الواقدي: المغازي، ج2، ص637–680.

[2] الحموي(ياقوت): معجم البلدان، دار صادر، بيروت1995م، ج2، ص332، 282–286، 463–469.

[3] الحموي: معجم، ج1، ص266–270. ج2، ص265.

[4] زكار، خربوطلي (سهيل، شكران): الحضارة العربية الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، دمشق2005، ص315–318–324–325.

[5] القرآن الكريم: سورة الحشر، آية14.

[6] العسلي(بسام): فن الحرب الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، بيروت1988م، مجلد1، ص231–234.

الجنود للاستقرار في هذه المدن الثغرية، ونتج عن ذلك نشأت العديد من المدن التي شكلت خطاً دفاعاً برياً وبحرياً للدولة العربية الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية[1].

– ونظراً لكثرة النصوص التي تم جمعها، كان لابد من القيام باختيار نماذج كاشفة حتى تتوضح الخريطة الحربية لهذه القلاع في بلاد الشام في عصري الخلافة الراشدية والدولة الأموية:

أولاً: جند فلسطين:

يعد جند فلسطين[2] أول أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب[3]، ويتميز بعدد كبير من المدن البرية والبحرية، التي لها أهميتها الدينية الكبيرة للديانات السماوية الثلاث، كما له أهمية تجارية بسبب موقعه المتوسط أو المشرف على طرق المواصلات، أو المشرف على بحر الشام، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1–بيت المقدس: مدينة قديمة تمتلك سور وحصن وأبراج حصينة[4].

2–الخليل: حصن برية قديم، بالقرب من بيت المقدس.

3–حيفا: حصن بحري قرب يافا من فتوح المسلمين[5].

4–كرمل: حصن بري يشرف على حيفا من فتوح المسلمين.

5–قيسارية: مدينة ساحلية على بحر الشام، تمتلك قلعة غاية في القوة والحصانة[6].

6–الرملة: مدينة ساحلية على بحر الشام، تمتلك حصن حصين[7].

7–الداروم: قلعة ساحلية على بحر الشام من فتوح المسلمين[8].

8–قلنسوة: حصن بري قرب مدينة الرملة من فتوح المسلمين[9].

---

[1] زكار، خربوطلي: الحضارة، ص325،324،318،315.

[2] ابن حوقل(محمد بن علي الموصلي): صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ج1، ص170–175. العوا(أنور مازن): تاريخ الساحل الشامي منذ مطلع العصر الراشدي حتى نهاية الحكم السفياني، (فتوحاته، تأسيس الأربطة، إنشاء القوى البحرية)، (12–64هـ/633–683م)، إشراف: شكران خربوطلي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة دمشق، دمشق 2012م، ص67–77.

[3] البلاذري(أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت1988م، ص140–146.

[4] ابن خرداذبة(عبيد الله): المسالك والممالك، دار صادر بيروت، ص79. الحموي: معجم، ج1، ص521–522.

[5] الطبري(محمد): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة1956م، ج3، ص604–605. الحموي: معجم، ج2، ص332، 387.

[6] الحموي: معجم، ج4، ص421–422، 456.

[7] الحموي: معجم، ج3، ص69–70.

[8] الواقدي: المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت1989م، ط3، ص1117–1124. الحموي: معجم، ج2، ص424.

[9] الحموي: معجم، ج4، ص492.

9-جبرين: حصن بري بين بيت المقدس وعسقلان، من فتوح القائد عمرو بن العاص[1].

10-غزة: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، لها أسوار حصينة من فتوح المسلمين[2].

11-عسقلان: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، وصفت بآخر مدينة تم فتحها بسبب أسوارها المنيعة[3].

12-يافا: بلدة ساحلية قديمة على بحر الشام، حصنها العرب المسلمين بسور وقلعة[4].

13-عثليت: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، تمتلك قلعة وأسوار[5].

ثانياً: جند الأردن:

يعد جند الأردن[6] ثاني أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب، وأصغرها مساحة[7]، ويغلب على حدوده الطابع البري، له أهمية تجارية بسبب موقعها المتوسط الواصل لبلاد الشام، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1-طبرية: مدينة مطلة على بحيرة طبرية، تمتلك سور وجدار حصين من فتوح المسلمين[8].

2-صور: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، ذكرت على أنها ((حصينة ولا سبيل إليها إلا بالخذلان))، ووصفت ((بالكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الربع الذي فيه شروع بابها))[9].

3-كرك: قلعة برية قديمة، أهميتها تأتي من وقوعها على طريق المواصلات[10].

4-الشوبك: قلعة برية قديمة، أهميتها تأتي من وقوعها على طريق المواصلات[11].

ثالثاً: جند دمشق:

---

[1] ابن حوقل: صورة، ج1، ص187-190. الحموي: معجم، ج2، ص101.

[2] الواقدي: فتوح، ص140. اليعقوبي: البلدان، ص167. العوا: تاريخ، ص72.

[3] الواقدي: فتوح، ص47-48. العوا: تاريخ، ص73.

[4] أبو الفداء(إسماعيل بن محمد): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس 1840م، ص239.

[5] الصوافي(طالب): القلاع والحصون في شمال فلسطين، مؤسسة الأسوار، عكا2000م، ط1، ص184-192. العوا: تاريخ، ص77.

[6] ابن جعفر(قدامة): الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق1981م، ط1، ص288-290. العوا: تاريخ: ص78-89.

[7] الإصطخري(إبراهيم بن محمد الكرخي): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة1961م، ص58-66.

[8] البلاذري: فتوح، ص129. ابن خرداذبة: المسالك، ص255. الحموي: معجم، ج4، ص17-20.

[9] البلاذري: فتوح، ص120. الحموي: معجم، ج3، ص434.

[10] ابن خرداذبة: المسالك، ص255. الحموي: معجم، ج4، ص485.

[11] ابن شداد(محمد بن علي): الأعلاق الخطيرة، تحقيق يحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق1991م، ج2، ص123-124. الحموي: معجم، ج3، ص370.

يعد جند دمشق[1] ثالث أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب، وأكبرها مساحة، له أهمية كبيرة بسبب موقعه المتوسط، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1-دمشق: مدينة برية قديمة، ذكرت على أنها قصبة بلاد الشام لها سور يحميها، ولها سور حصين وعدد من الأبواب، من فتوح المسلمين[2].

2-بصرى: مدينة برية قديمة، ذكرت على أنها قصبة حوران، حصينة وتتمتع بالقوة وصعوبة الوصول لها[3].

3-صرفندة: حصن بحري بين صور وصيداء[4].

4-دومة الجندل: حصن بري منيع، ذكر في عصر الرسول(ﷺ)، من فتوح المسلمين[5].

5-عرقة: بلدة وقلعة بحرية في شرقي طرابلس[6].

6-تبوك: حصن قديم، ذكر في عصر الرسول(ﷺ).

7-أنفة: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، ورد أن لها حصن منيع، من فتوح المسلمين[7].

8-طرابلس: مدينة ساحلية قديمة على بحر الشام، وصفت بإنها أكثر مدن الشام تحصيناً لوجود أسوار وخنادق وطبيعة جبلية تساعد على ذلك، من فتوح المسلمين[8].

رابعاً: جند حمص:

يعد جند حمص[9] رابع أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب، يتميز بمدنه الهامة على بحر الشام، وما لذلك من أهمية، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1-حمص: مدينة وقلعة برية قديمة، على طريق المواصلات الداخلية بين دمشق وحلب، من فتوح المسلمين[10].

2-حماة: مدينة وقلعة برية قديمة، يحيط بها سور، ويمر منها نهر العاصي، من فتوح المسلمين[11].

3-شيزر: قلعة برية قديمة، هي على مقربة من حماه ومعرة النعمان، يمر في وسطها نهر الأردن[1].

---

[1] البلاذري: فتوح، ص129.اليعقوبي(أحمد بن يعقوب): تاريخ، ج2، ص22-30. العوا: تاريخ، ص80-87.

[2] الحموي: معجم، ج2، ص463-469.

[3] الحموي: معجم، ج1، ص441-442.

[4] الحموي: معجم، ج3، ص402.

[5] الحموي: معجم، ج2، ص487.

[6] الحموي: معجم، ج4، ص109.

[7] الطبراني(سليمان بن أحمد): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة 1994م، ط2، ج8، ص194. العوا: تاريخ، ص85.

[8] تدمري(عبد السلام): لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، جروس برس، بيروت1990م، ط1، ص46. العوا: تاريخ، ص85.

[9] العوا: تاريخ، ص48.

[10] البلاذري: فتوح، ص133، 144.

[11] ابن جعفر: الخراج، ص296-299. الحموي: معجم، ج2، ص14-15، 300، 302-304.

4-المرقب: قلعة بحرية قديمة، تشرف على مدينة بلنياس[2].

5-حوارين: حصن بري، يبعد مرحلتين[3] عن تدمر، من فتوح المسلمين[4].

6-معرة النعمان: مدينة برية قديمة، يحيط بها سور[5].

7-أنطرطوس، مرقية، بلنياس، جبلة، بلدة، أفامية، اللاذقية: حصون بحرية قديمة، وتعد من المدن الصغيرة على بحر الشام من فتوح المسلمين، أعاد معاوية بن أبي سفيان بنائها واسكنها المقاتلة، حيث عدت من ثغور الدولة العربية الإسلامية[6].

خامساً: جند قنسرين:

يعد جند قنسرين[7] خامس أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب، يتميز بمدنه الهامة على طرق المواصلات البرية الداخلية، وما لذلك من أهمية، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1-حلب: مدينة وقلعة برية قديمة، يمر من جانب أحد أبوابها نهر قويق، وهي عقدة مواصلات، من فتوح المسلمين[8].

2-منبج: مدينة تتواجد بالقرب من حلب، لها أسوار قوية، وقلعة حصينة[1].

---

[1] الحموي: معجم، ج3، ص383.

[2] الحموي: معجم، ج5، ص108.

[3] المرحلة: هي كلمة لقياس المسافات، وهي تساوي بين 28 الى 33كم، ومتوسطها 30،5كم.

- ابن العيني(بدر الدين محمود): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان-تحقيق من الورقة 401-512 معركة اليرموك وفتح بيت المقدس، تحقيق: أنور مازن العوا، إشراف: شكران خربوطلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق، دمشق2009م، ص15.

[4] الحموي: معجم، ج2، ص316.

[5] الحموي: معجم، ج5، ص156.

[6] البلاذري: فتوح، ص135. الحموي: معجم، ج1، ص270. ج5، ص6-7. ج5، ص109. ج2، ص105. العوا: تاريخ، ص92-93.

[7] قسم ياقوت الحموي هذه الأراضي حسب تسلسل التعديلات التي حدثت، وهي كالتالي:

- **(قنسرين والجزيرة): حيث كانت مضمومة إلى بعضها حتى عهد الخليفة يزيد بن معاوية، وبذلك كانت قنسرين جنداً.**
- **(قنسرين وأنطاكية ومنبج): جمعت في عهد يزيد بن معاوية، وبقيت قنسرين جنداً.**
- **(قنسرين جنداً، الجزيرة لوحدها بما يشبه الجند): حيث قام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بإعادة التقسيم الذي كان قبل عهد يزيد بن معاوية.**
- **(جند قنسرين لوحده، جند العواصم لوحده): وفرقت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد.**

- الحموي: معجم، ج1، ص103. العوا: تاريخ، ص93-98.

[8] البلاذري: فتوح، ص149-157. الحموي: معجم، ج2، ص282-286.

3-قنسرين: مدينة وحصن بري بين حلب وحمص، من فتوح المسلمين[2].

4-دوسر: قلعة برية قديمة، تقع على الفرات بالقرب من الرقة وصفين، عرفت بالعصور المتأخرة بقلعة جعبر[3].

5-بالس: بلدة بين حلب والرقة لها سور ووصفت بإنها حصينة، من فتوح المسلمين، اتخذت في عصر الدولة الأموية منطلقاً لغزو الإمبراطورية البيزنطية[4].

6-عانة: قلعة قديمة، تقع بالقرب من الرقة، كان أحد مهامها ((منع أهل البادية عن السواد))[5].

سادساً: الثغور والعواصم:

يمكن عد الثغور والعواصم[6] سادس أجناد بلاد الشام من جهة الجنوب، وقد ظهرت هذه التسمية بشكل شبه واضح في عصر الدولة الأموية، وتتميز بمدنها الثغرية البرية والبحرية الهامة على حدود الإمبراطورية البيزنطية، والتي تؤلف فيما بينها سلسلة من الحصون والقلاع لحماية بلاد الشام.

- **فالثغور:** حصون في شمالي بلاد الشام، لا قصبة لها؛ لأن كل مدنها متساوية المساحة، وقد كانت الثغور الشامية معروفة منذ حقبة الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وهي تنتهي عند أنطاكية وتبدأ عندها العواصم، فالثغور هي: خط الحصون الخارجي الشمالي الغربي، وهو الخط الدفاعي الأول، ومن أهم قلاعها وحصونها:

1-المصيصة: رباط مشهور، ويمر منها نهر جيحان، وهي من فتوح المسلمين[7]، ويذكر عنها أن لها قلعة محصنة بأبواب حديدية قوية[8].

2-سميساط: مدينة تقع على نهر الفرات، لها قلعة حصينة[9].

3-مرعش: مدينة وفي وسطها حصن سور، يمكن عدها أخر مدن العواصم.

---

(1) ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد هبة الله): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق1989م، ط1، ص11.

(2) المقدسي البشاري(محمد بن أحمد): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن1906م، ص154. الحموي: معجم، ج4، ص403-404.

(3) ابن جعفر: الخراج، ص303. الحموي: معجم، ج2، ص142. ج4، ص390.

(4) الحموي: معجم، ج1، ص328.

(5) الحموي: معجم، ج4، ص72.

(6) العوا: تاريخ: ص49-50.

(7) الحموي: معجم، ج2، ص80. ج5، ص144.

(8) الحميري(محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت1980م، ط2، ص554.

(9) الإدريسي(محمد بن عبد الله): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت1409هـ، ج2، ص651.

4-ملطية: مدينة محصنة، من فتوح المسلمين[1].

5-المثقب: حصن بحري بالقرب من المصيصة، بناه هشام بن عبد الملك[2].

6-كفربيا: مدينة وحصن قديم، بالقرب من المصيصة، على شاطئ نهر جيحان.

7-قطرغاش: حصن بالقرب من المصيصة، عمره هشام بن عبد الملك[3].

8-طرسوس: مدينة قديمة، من فتوح المسلمين، تمتاز بوجود خندق مائي يحمي المدينة[4].

9-طرنة: مدينة محصنة تقع بالقرب من ملطية، من فتوح المسلمين[5].

10-زبطرة: حصن منيع، يقع بين ملطية وسميساط، من فتوح المسلمين[6].

سلوقية: حصن بحري بناه الوليد بن عبد الملك، واقطعه لجند أنطاكية[7].

- قام الإمبراطور البيزنطي هرقل وفي أثناء انسحابه من بلاد الشام بتخريب جميع الحصون الواقعة بين الإسكندرونة وطرسوس، والتي تعد خط من الحصون على ساحل بحر الشام، ونقل جميع أهل هذه الحصون معه[8]، وأعتقد أن الإمبراطور البيزنطي هرقل فعل ذلك حتى لا تشكل هذه الحصون خطراً على بيزنطة، وعلى طرق أسطولها في بحر الشام، إذا ما استطاع العرب المسلمين السيطرة عليها.

- **أما العواصم:** فهو جمع عاصم، وهو المانع، ذلك لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا منها[9]، فالعواصم: خط الحصون الدّاخلي الشمالي الشرقي الذي يعصمهم ما دونها من بلاد الإسلام من العدو وتكون متاخمة لحدوده، ويرابط فيها المسلمين للحفاظ عليها، وهو الخط الدفاعي الثاني بعد خط الثغور، ومن أهم قلاعه وحصونه:

1-أنطاكية: مدينة وقلعة برية وبحرية قديمة، تشتهر بأهميتها لدى بيزنطة، تبعد عن البحر نحو فرسخين[10]، من فتوح المسلمين[1].

---

[1] القزويني(زكريا بن محمد بن محمود): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ط1، ص564.

[2] الحموي: معجم، ج5، ص54، 107.

[3] الحموي: معجم، ج4، ص468، 373.

[4] البلاذري: فتوح، ص164. الحموي: معجم، ج2، ص80. ج4، ص28-29. العوا: تاريخ، ص97.

[5] البلاذري: فتوح، ص185.

[6] الحميري: الروض، ص285. الحموي: معجم، ج3، ص130-131.

[7] الحموي: معجم، ج3، ص242.

[8] الحموي: معجم، ج2، ص80.

[9] الحموي: معجم، ج4، ص165-166.

[10] الفرسخ: يعادل 3 ميل أو ما يعادل 5544م.

- ابن العيني: عقد الجمان، ص15.

2-بوقة: حصن بناه هشام بن عبد الملك، وهو يعد من توابع أنطاكية[2].

3-الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش، من فتوح المسلمين، وكان معاوية بن أبي سفيان يهتم به، وكان بنو أمية يسمون درب الحدث بدرب السلامة.

4-حصن سلمان: حصن بري من فتوح المسلمين، ينسب الى أحد قواد جيش أبي عبيدة بن الجراح الفاتح.

5-حصن مسلمة: حصن بري بالقرب من الرقة، بناه مسلمة بن عبد الملك، لحماية طرق التجارة بين الرقة وحران والبليخ.

6-حصن منصور: مدينة تقع بالقرب من سميساط، تمتاز بخندق وسور له ثلاث أبواب، والقلعة لها أسوار مزدوجة[3].

7-حصن المورة: قام ببنائه هشام بن عبد الملك بالقرب من درب اللكام[4].

8-ستين: حصن يقع بالقرب من ملطية، من فتوح مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

9-رعبان: مدينة وقلعة، بين حلب وسميساط، من فتوح المسلمين[5].

10-دلوك: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية، عرفت في العصور المتأخرة بـ عين تاب[6].

- قام والي الشام معاوية بن أبي سفيان بعد أن وصل بفتوحه الى مدينة درولية وفي أثناء عودته إلى أنطاكية بهدم جميع الحصون الواقعة بين درولية وأنطاكية سنة(31هـ/651م)[7]، وأعتقد أن معاوية فعل ذلك حتى لا تشكل هذه الحصون خطراً على بلاد الشام إذا ما استطاعت بيزنطة السيطرة عليها مرة ثانية.

- يُرى من خلال هذه النماذج ما يلي:

- جميع الدراسات الأثرية والتاريخية أثبتت أن أكثر مدن بلاد الشام كانت مسورة ومحمية بأسوار مدعمة بأبراج وبوابات محصنة، ولها تحصينات أمامية، وخنادق تنسجم مع الموانع الطبيعية التي تحميها من بعض الجهات، وكانت القلاع والحصون والمعاقل الحصينة تقام على طرق التجارة والمواصلات، وعند النقاط **الإستراتيجية** المهمة، أو على حدود البلاد كالثغور.

3- الحصون الصحراوية للدولة العربية الإسلامية:

---

[1] داوني(جلانفيل): أنطاكية في عهد ثيودوسيوس، ترجمة: ألبرت بطرس، مؤسسة فرانكلين للطباعة، نيويورك1968م، ص16-17. العوا: تاريخ، ص94.

[2] الحموي: معجم، ج1، ص265-270، 510.

[3] الحموي: معجم، ج2، ص227، 264، 265.

[4] البلاذري: فتوح، ص167.

[5] الحموي: معجم، ج3، ص51، 188.

[6] الحموي: معجم، ج4، ص176.

[7] الحموي: معجم، ج2، ص80.

وهي مباني هامة تعود إلى بدايات الفتوحات العربية الإسلامية، وانتهت بانتهاء الدولة الأموية، وربما تكون عائدة لقصور رومانية قديمة موجودة قبل انتشار الإسلام.

بنيت على مخطط مربع الشكل، تم تجهيز زوايا هذا الموقع المحصن بأبراج بارزة، وكذلك بأبراج نصف دائرية تكون متوسطة للجدران، بينما تحيط بالمداخل أبراج يكون نصفها أو ربعها دائري، وتحتوي التصاميم الداخلية للحصن على هياكل أو مباني مرتبة حول الفناء تكون في معظم الحالات محاطة ببهو معمد[1].

وهناك نظريات متعددة حول الهدف من بناء هذه الحصون، ومنها:

- مقر للصيد، أو كنقطة لإدارة الممتلكات، أو استراحة على جانب الطريق، أو مركز دفاعي ضد هجمات البدو، على إن كل ما تم ذكره ممكن يحتمل الصحة.

- خاتمة:

- وبذلك تم حصر القلاع والحصون في بلاد الشام بثلاث أنواع: الأولى: القلاع والحصون المشيدة في المناطق الداخلية لبلاد الشام، الثانية: القلاع والحصون المشيدة على الطرق البرية والنهرية والسواحل، الثالثة: الحصون الصحراوية الأموية.

- اتضح مما تقدم غنى بلاد الشام بالمدن التي تميزت بالحصانة لتوافر عناصر ذلك من خندق أو سور أو قلعة أو حصن وذلك لأهداف كثيرة سياسية وإدارية ودينية وتجارية، مع التأكيد على إن سبب بناء هذه التحصينات لم يكن لدواعي الأمن أو الحرب حيث يلاحظ من وصف هذه المدن أنها كانت غير كاملة لمقومات الحماية أو الدفاع عنها.

وخلال الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام، عمد القواد المسلمين المحافظة على هذه المدن وما تتمتع به من حصانة، وتدعيم ذلك من خلال إعادة الإعمار أو بناء قلاع وحصون لزيادة المنعة والصمود، وظهور مدن الأربطة والثغور في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية.

- على الرغم من كل هذه الإيجابيات التي حققتها الدولة العربية الإسلامية في بداية نشآتها من الاهتمام بالتحصينات الدفاعية، واستخدام الموجود وتطويره أو بناء ما يلزم، إلا إنه كان لذلك سلبيات لم تظهر إلا من خلال بعض السطور من خلال قيام الإمبراطور البيزنطي هرقل بتدمير لقلاع وحصون معينة على حدود دولته مع بلاد الشام، وقيام الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بعمل مماثل على الحدود الشمالية لدولته، ولذلك لأهداف واضحة وجلية وهي بمثابة صنع حد حدودي فاصل كبير بينهما، يمنع الدولتان من عمليات الهجوم.

---

[1] Denis Genequand, From 'desert castle' to medieval town: Qasr al-Hayr al-Sharqi(Syria), Antiquity Vol. 79, No. 304, June 2005, P.350.

قائمة المصادر والمراجع

أ- قائمة المصادر:

1- القرآن الكريم.

❖ **الإصطخري، بن محمد الفارسي الكرخي(346هـ/957م):**

2- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة، الجمهورية العربية المتحدة1961م.

❖ **الإدريسي، محمد بن عبد الله(ت560هـ/1164م):**

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت1409هـ، ط1.

❖ **البلاذري، أحمد بن يحيى(ت279هـ/892م):**

4- فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت1988م.

❖ **البهوتي، منصور بن يونس(1051هـ/1641م):**

5- كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت1402هـ.

❖ **الحموي، ياقوت(626هـ/1228م):**

6- معجم البلدان، دار صادر، بيروت1995م.

❖ **الحميري، محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1494م):**

7- الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت1980م.

❖ **ابن حوقل، محمد بن علي الموصلي (ت367هـ/977م):**

8- صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت1938م.

❖ **ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت280هـ/893م):**

9- المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت1889م.

❖ **ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم(ت684هـ/1285م):**

10- الأعلاق الخطيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق1991م.

❖ **الطبراني، سليمان بن أحمد(ت360هـ/971م):**

11- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة1994م.

❖ **ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد هبة الله(ت660هـ/1261م):**

12- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق1989م، ط1.

❖ **العيني، بدر الدين محمود(855هـ/1451م):**

13- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان–تحقيق من الورقة 401–512 معركة اليرموك وفتح بيت المقدس، تحقيق أنور مازن العوا، إشراف شكران خربوطلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق، دمشق2009م.

❖ **أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر(ت732هـ/1331م):**

14- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس1840م.

❖ **قدامة بن جعفر، أبو الفرج البغدادي (ت327هـ/938م):**

15- الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق1981م، ط1.

❖ **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ/1283م):**

16- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت د.ت، ط1.

❖ **المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت387هـ/997م):**

17- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن1906م.

❖ **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م):**

18- لسان العرب، دار صادر، بيروت د.ت، ط1.

❖ **اليعقوبي، أحمد بن يعقوب (ت284هـ/897م):**

19- البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت1422هـ، ط1.

❖ **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد الأسلمي(207هـ/822م):**

20- فتوح الشام، دار الجيل للنشر، بيروت.

21- المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت1989م.

ب– قائمة المراجع:

❖ **تدمري(عبد السلام):**

1- لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، جروس برس، بيروت1990، ط1.

❖ **زكار، خربوطلي(سهيل، شكران):**

3- تاريخ الدولة العربية الإسلامية-عصر الرسول والخلفاء الراشدين-، جامعة دمشق، دمشق2003م.

4- الحضارة العربية الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، دمشق2005.

❖ **داوني(جلانفيل):**

5- أنطاكية في عهد ثيودوسيوس، ترجمة: ألبرت بطرس، مؤسسة فرانكلين للطباعة، نيويورك1968م.

❖ **الصوافي (طالب):**

6- القلاع والحصون في شمال فلسطين، مؤسسة الأسوار، عكا2000م، ط1.

❖ **العسلي(بسام):**

7- فن الحرب الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، بيروت1988م.

❖ **العوا(أنور مازن):**

8- تاريخ الساحل الشامي منذ مطلع العصر الراشدي حتى نهاية الحكم السفياني، (فتوحاته، تأسيس الأربطة، إنشاء القوى البحرية)، (12-64هـ/633-683م)، إشراف: شكران خربوطلي، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة دمشق، دمشق 2012م.

ج-قائمة المراجع الأجنبية:

[1] Denis Genequand، From 'desert castle' to medieval town: Qasr al-Hayr al-Sharqi(Syria)، Antiquity Vol. 79، No. 304، June 2005.

Castles and Forts in the Bilad al-Sham From the Arab Islamic Conquest until the End of the Umayyad Era

Dr: Anwr ALawa[(1)]

Abstract

The Arab Islamic civilization was preceded by ancient human civilizations that attached great importance to building castles، fortresses، walls and trenches for security requirements. One of the most famous civilizations that were in contact with Muslims was the Byzantine civilization. It is noted that during the Arab Islamic conquest of the Levant، the Arab Muslims did not destroy any defensive fortifications in this region. Rather، efforts focused on conquest by peace or force using the method of deception، due to their knowledge of their need for these fortifications after the conquest. The inland cities of the Levant were military camps that met the requirements of the conquering Arab armies. As for the coastal cities، they were transformed into defensive links for the Arab Muslims against the fleets of the Byzantine Empire، which aimed to use these cities to regain control over the Levant. As for the northern cities of the Levant، they were transformed into defensive and offensive frontiers against the Byzantine Empire. Thus، the wars of castles، fortresses، frontiers and guards - the links - began since Early in the history of the Arab Islamic world، Muslims developed these fortifications from mere barracks for soldiers and stores for weapons and supplies; to fortified cities that included integrated facilities for war and defense operations that started from the mosque.

Despite all these positives that the Arab state achieved at the beginning of its establishment from the interest in defensive fortifications and the use of the existing and developing it or building what was necessary، it had negatives that did not appear except through some lines through the destruction of certain castles and fortresses on the borders of his state by Emperor Heraclius، and the Umayyad Caliph Muawiyah bin Abi Sufyan doing a similar work on the northern borders for goals that may seem hidden.

Keywords: Castles - Forts - Bilad al-Sham - Conquest - Umayyad - Heraclius - Muawiyah.

(1) PhD in Arab and Islamic History, Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Al-Furat University, Deir ez-Zor City, Syria.